

وبلغ عدد فروع المصارف الإسلامية ١٩ فرعاً حتى عام ٢٠١٠.

ثم صدر مرسوم ينظم الإجارة والإجارة المنتهية بالتملك مما أتاح حرية للمصارف الإسلامية للتعامل بهذه الصيغ التمويلية كما هيئاً لترخيص شركات استثمار إسلامية تعمل بهذه الصيغ التمويلية أيضاً.

إن استعراض بعض المؤشرات الرسمية حتى نهاية ٢٠٠٩ يساعدنا في استقراء السوق السورية ويبين أهمية التمويل الإسلامي فيها:

- بلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي GDP ٢٥٧٤ دولار.
- بلغ سعر صرف الليرة السورية مقابل وحدة حقوق السحب الخاصة = ٧٢.
- بلغ سعر صرف العملات الأجنبية (ل.س) للدولار = ٤٦.٧.
- بلغت الصادرات (مليار ل.س) = ٥٠٨.٤.
- بلغت الاستيرادات (مليار ل.س) = ٦٥٠.٨.
- بلغ الميزان الجاري (مليار ل.س) = -٥٤.٢.
- بلغ الميزان الكلي (مليار ل.س) = ٤٣.٤.

وبين عامي ٢٠٠٤-٢٠٠٩:

- ازدادت موجودات البنك المركزي بنسبة ١٣٦٪ حيث بلغت ١٢٢٤٩٦٤ مليون ليرة سورية في ٢٠٠٩.

بدأت حركة تصحيح السياسة النقدية في الاقتصاد السوري منذ عام ٢٠٠٦ حيث مُنحت إدارة مستقلة عن السياسة المالية وتم تفعيل السياسة النقدية باعتماد أدوات نقدية غير مباشرة وأنشئت سوق الأوراق المالية وسميت بسوق دمشق للأوراق المالية.

وكان قد صدر قانون المصارف الخاصة في عام ٢٠٠١ ثم تلاه صدور المرسوم ٣٥ الذي سمح بإحداث مصارف إسلامية في عام ٢٠٠٥، ورغم تأخر دخول المصارف الإسلامية إلى سورية لكن المرسوم المذكور يعتبر من أفضل القوانين في العالم لأنه بدأ من حيث انتهى الآخرون. ثم تبعه المرسوم ٤٣ من نفس العام والذي سمح بتأسيس شركات تأمين تكافلي. كما تتالت قوانين إحداث شركات الصرافة ومؤسسات التمويل الصغير وأخيراً القانون ١٧ لعام ٢٠١٠ الخاص بالسرية المصرفية. إضافة إلى صدور قرارات تنفيذية بهدف تصحيح التشوهات النقدية التي حصلت بسبب ابتعاد السوق السوري عن اقتصاد السوق.

لقد بلغ عدد المصارف الإسلامية المرخصة ثلاثة وعدد شركات التأمين التكافلي اثنتان وعدد شركات الوساطة الإسلامية واحدة.

1 Source : The Central Bank of Syria, The Ministry of Finance, The Central Bureau of Statistics 2010: <http://www.banquecentrale.gov.sy/reports/Q-bulletin/Q-bulletin%202010%201-2.pdf>

2 Table No (6) : Consolidated Balance Sheet of the Central Bank of Syria

ملامح التمويل الإسلامي في سورية

الدكتور سامر مظهر قنطجبي www.kantakji.com

ويلاحظ أن نمو صيغ التمويل الإسلامية وصل لأكثر من ١٢ ضعف أو ١٢٠٠٪ مقارنة مع نصف سنة فقط فإذا افترضنا مضاعفة الرقم حتى نهاية ٢٠١٠ فذلك يعني زيادة النمو لحوالي ٢٥ ضعفاً.

ورغم هذا الارتفاع الملفت للنظر فإن التمويل الإسلامي لا يمثل سوى ٢-٣٪ من تمويلات السوق السوري.

فإذا علمنا أن نسبة الاكتتاب في مصرف الشام الإسلامي بلغت ٦٢٨٪ وفي مصرف سورية الإسلامي ٣٣٦٪ فإن انخفاض حصة المصارف الإسلامية من نسب تمويلات المشار إليها يمكن تفسيرها بأن الصيغ التي تقدمها المصارف الإسلامية (وهي المرابحة) قاصرة عن تلبية احتياجات ومتطلبات السوق السوري. فنسب الاكتتاب توضح شدة إقبال الجمهور على المصارف الإسلامية بينما نمو حجم الودائع فيها مقارنة بغيرها من المصارف يبين انخفاض إقبال الجمهور على إيداع أموالهم فيها، والسبب في ذلك انخفاض الأرباح التي توزعها هذه المصارف والتي تراوحت بحدود ٤٪ والسبب في ذلك أن صيغة المرابحة التي لا تتجاوز ٧-٨٪ لن تسمح بأكثر من تلك الأرباح الموزعة.

إن بنى هيكل السوق السوري تتوزع بشكل نمطي يتناسب مع المعايير الدولية حيث تشكل الزراعة 14% Agriculture والصناعة والتعدين والمرافق Mining,

- ازدادت موجودات الميزانية الموحدة للمصارف المحلية (باستثناء مصرف سورية المركزي) بنسبة ١٥٦٪ حيث بلغت ١٩٥٣٢٥٨ مليون ليرة سورية في عام ٢٠٠٩.

- ازدادت موجودات الميزانية الموحدة للمصارف العامة بنسبة ١٢٠٪ حيث بلغت ١٤٦٩٤٧٣ مليون ليرة سورية في عام ٢٠٠٩.

- ازدادت موجودات الميزانية الموحدة للمصارف الخاصة التقليدية بنسبة ١٥٠٠٪ حيث بلغت ٤١١٨٤٨ مليون ليرة سورية في عام ٢٠٠٩.

- ازدادت موجودات الميزانية الموحدة للمصارف الإسلامية بنسبة ١٥٧٪ من عام ٢٠٠٨-٢٠٠٩ حيث بلغت ٧١٩٣٧ مليون ليرة سورية في عام ٢٠٠٩.

- نمت الودائع المحلية Deposits من ٨.٢٣٪ وحتى ١٢.٤٤٪.

انحصرت استثمارات البنوك الإسلامية في صيغة المرابحة Murabaha فبلغت ١٦٨٠ مليون ليرة في عام ٢٠٠٧ ازدادت إلى ١٨٦٨ مليون في عام ٢٠٠٨ ازدادت إلى ٢٠٧٤١ مليون في عام ٢٠٠٩ مع العلم أنها بلغت في حزيران ٢٠١٠ مبلغاً وقدره ٣٢٦٣٢ مليون. ترافق ذلك مع وجود تمويلات بصيغة الاستصناع وصيغ أخرى بنسب متواضعة جداً.

3 Table No (7) : Consolidated Balance Sheet of the Local Banks(Except CBS)

4 Table No (8) : Consolidated Balance Sheet of the Public Banks

5 Table No (9) : Consolidated Balance Sheet of the Commercial Private Banks

6 Table No (10) : Consolidated Balance Sheet of the Islamic Banks

7 Table No (13) : Distribution of Deposits at Local Banks

ملامح التمويل الإسلامي في سورية

الدكتور سامر مظهر قنطجبي www.kantakji.com

السورية الفكر الإسلامي المالي الصحيح والمنبثق من قواعد وأصول الاقتصاد الإسلامي السليم الذي يعتمد مصادر التشريع الإسلامي وفقهه الصحيح حيث لا بد استنباط الصيغ والأدوات التمويلية من تلك الأصول التي تميل نحو تحقيق مقاصد الشارع قبل مقاصد الفاعل وتبني صيغ العزائم والرخص لا صيغ الحيل التي تجعل صورة التمويل الإسلامي صورة هزيلة وتفسد قوة اقتصاده الصحيح.

إن استخدام صيغ التمويل المتنوعة يساعد في إدارة المخاطر وعدم التركيز على صيغة يحدده أو قطاع يحدد من السوق ويؤدي إلى خفض تكاليف التمويل.

ويبدو أن اتجاه المصرف المركزي نحو إرساء هيئة شرعية مركزية على مستوى سورية قد يحسن الحال ويدفعه نحو الأفضل، كما يُنَاط بالمصرف المركزي توجيه سياسات الاستثمار والحد من صيغ الائتمان بما يكفل زيادة كفاءة البنوك الإسلامية أمام منافساتها التقليدية. فبنية السوق السوري وتنوعها تشكل حافزا لتفعيل جميع صيغ التمويل الإسلامية إضافة لدخول المؤسسات المالية الإسلامية بالاستثمار المباشر لتحقيق عوائد مجزية لها وللمستثمرين من خلالها وبذلك يعم النفع عليهم وعلى الاقتصاد الكلي حيث يؤدي ذلك أيضا إلى خفض تكاليف التمويل أيضاً.

Manufacturing, and Utilities 8%
Building and الإنشاءات العقارية
Construction 14% أما التجارة
والخدمات التجارية فتتجاوز ٦٥٪ (تجارة
الجملة والمفرق Wholesale and Retail
Trade 50% وخدمات أخرى Other
Activities 15%)^٤. لكن إصرار المصارف
الإسلامية على تقديم صيغ المرابحة فقط
يجعلها قاصرة عن تلبية احتياجات السوق
السورية مما أدى إلى تحول الممولين إلى
مصارف أخرى لتأمين احتياجاتهم التمويلية.

إن تنوع صيغ التمويل الإسلامية تسمح بتلبية
جميع شرائح المجتمع وهياكله أما الاقتصار
على صيغة المرابحة دون غيرها فسيؤدي إلى
انخفاض أداء المصارف الإسلامية. ويعبر عن
ذلك انخفاض ROE لأقل من ٤٪ وانخفاض
كفاءة تلك المصارف في الاقتصاد الكلي
ROA لما دون ٤ بالألف.

أما من جهة الممولين فإن تكلفة التمويل تعتبر
مرتفعة جداً مقارنة بغيرها في المصارف
التقليدية ويسبب ذلك نفور كثير من الممولين
من التعامل مع المصارف الإسلامية.

وبرأينا كمراقب في السوق الإسلامي عموماً
والسوري خصوصاً فإن السوق السورية سوق
واعدة للمالية الإسلامية بشرط تبني القائمين
على المؤسسات المالية الإسلامية في السوق

8 Table No (15) : Distribution of Local Banks Credit according to Economic Activities and Type

ملامح التمويل الإسلامي في سورية

الدكتور سامر مظهر قنطجبي www.kantakji.com

لذلك نجد أن هناك تحديات عديدة تواجه الصيرفة الإسلامية عموماً وفي السوق السوري خصوصاً ويمكن معالجتها بالآتي:

1. تأهيل الجامعات السورية لتدريس مواد الاقتصاد والصيرفة الإسلامية.
2. تبني المصرف المركزي لسياسات ربط الجامعة بالمؤسسات المالية الإسلامية.
3. تبني المصرف المركزي توجيه المصارف الإسلامية لتبني سياسات لتتبع منتجاتها المالية الإسلامية.
4. تغيير ثقافات مجالس الإدارة عند رسم استراتيجيات مؤسساتهم المصرفية. بحيث يتبنون نهجاً أصيلاً فيجربون الإدارات التنفيذية على إتباع الطرق الموصلة لتحقيق فكر الصيرفة الإسلامية مضموناً لا شكلاً.
5. ضرورة اختيار إدارات وكوادر تنفيذية عليا ووسطى ودنيا تتبنى ثقافة الصيرفة الإسلامية كاستراتيجية مصدرها الإيمان بالله وتحقيق النفع للناس.
6. إدخال عناصر جديدة في الهيئات الشرعية لدعم مسيرتها بدماء جديدة أكثر حيوية وتفرغاً للعمل في المؤسسات المالية الإسلامية وعدم السماح لأعضاء الهيئات بالاشتراك في أكثر من هيئتين أو ثلاثة هيئات.
7. إنشاء مراكز بحث علمية R&D مرتبطة بالجامعات وبغيرها لتطوير هندسة مالية إسلامية مبتكرة تدفع

ويزيد من هذا الاتجاه توافر الموارد البشرية المحلية سواء الشرعية منها أو الفنية، وتتميز هذه الموارد بأنها سريعة التعلم وأنها ماهرة في اكتساب الخبرة. لكن دخول العمالة الوافدة من الصيرفة التقليدية تؤخر أداءها وتلعب دوراً سلبياً في تغيير ثقافتها.

ويعاب على الجامعات السورية تقصيرها في تقديم ودعم اختصاصات علوم الاقتصاد والتمويل الإسلامي وذلك بسبب نقص الكفاءات لديها وتأخر اقتناعها بجدوى تلك المؤسسات رغم نجاحها في العديد من الدول الإسلامية وغير الإسلامية. فنجد البعض من تلك الجامعات تقتصر على فصل أو فصول تعنى بالصيرفة الإسلامية وغالباً ما يدرس تلك المواد أساتذة ليست لديهم كفاءات نظرية أو عملية مما يجعل الخريجون قليلو المعرفة بهذه الاختصاصات ويجبرهم على البحث عن طرق أخرى لزيادة معارفهم.

لذلك يترتب على المصرف المركزي أن يتعاون مع الجامعات السورية بحيث تتيح المصارف الإسلامية فرص التدريب للخريجين حتى لا يضطر أولئك للتوظيف في المصارف التقليدية أملاً في اكتساب خبرة أو الحصول على ورقة تثبت خبرتهم المصرفية مما يجعلهم مفضلين عن غيرهم عند اختيار المصارف الإسلامية لكوادرها، فيؤدي ذلك إلى اختلاط المفاهيم والثقافة بين العاملين في المؤسسات المالية الإسلامية.

ملاحم التمويل الإسلامي في سورية

www.kantakji.com الدكتور سامر مظهر قنطجبي

العمل المصرفي نحو المزيد من الصيغ
الفاعلة لخدمة الاقتصاد .

٨. تطوير المحاسبين ومراجعي
الحسابات وتأهيلهم بالتعاون بين
جمعية المحاسبين القانونيين المهنية
والجامعات والمهنيين المصرفيين
والخبراء ليكونوا على قدر المهمة
الموكلة لهم.

٩. دعم تشكيل مكاتب مراجعة شرعية
خارجية أسوة بالمراجعة المحاسبية
الخارجية.

١٠. دعم تشكيل مكاتب دراسات وتحليل
مالي تهتم بالمؤسسات المالية
الإسلامية.